

ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي

د. عمر الخليفة
جامعة البحرين

ملخص

تعتبر الدراسة الحالية مشروعاً جديداً لقراءة علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي. ولقد أظهرت الدراسة بأن هناك فجوة في تاريخ علم النفس ما بين مساهمة الحضارة الإغريقية وعصر النهضة. وتتمثل هذه الفجوة في غياب أو تنحية أو إهمال أو تجاهل أو إنكار مساهمة الحضارة العربية الإسلامية في عصرها الذهبي. واتضح كذلك بأن تاريخ علم النفس حسب رؤية علماء النفس الغربيين وبعض علماء النفس العرب هو تاريخ الغرب وتاريخ العلم الغربي. وأظهرت الدراسة بأن هناك اهتمامات جادة في التراث العلمي بعلم البنية العضوية أو التشريح، وعلم منفعة الأعضاء أو علم النفس الفسيولوجي، وعلم الحيوان، وعلم نفس البهائم، وعلم النفس التدييري أو العلاج النفسي، وعلم نفس الطفل، وعلم النفس الرياضي، وعلم نفس الإبصار، وعلم النفس التجريبي. كما بينت الدراسة بأن هناك عشرة ملامح عامة لعلم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي: أنه كان علماً نظرياً، وتطبيقياً، وتصنيفياً، وتجريبياً، وكان انعكاساً للواقع المحلي، وكان علم نفس بلا علماء نفس، ولم ينحصر في رقعة جغرافية محددة، ووصل قمته في القرن الحادي عشر الميلادي، وكان علماً مرتبطاً بأسرة بقية العلوم، مبدعاً، قائماً على الملاحظة والاعتبار أو التجربة. ولقد أثر التراث العلمي العربي الإسلامي تأثيراً كبيراً في الغرب، وبخاصة علم النفس الهيثمي. وخلصت الدراسة إلى بعض الدروس المتعلمة من البحث السيكولوجي في التراث العلمي منها إصلاح مناهج العلوم وتطورها، والترجمة العلمية المفيدة التي لا

تتفصل عن الإبداع العلمي، وأن نمو علم النفس ليس بظاهرة منعزلة عن نمو المعارف الأخرى، وفوق كل ذلك إعطاء البحثة العرب ثقة قوية في النفس.

مقدمة

من الملاحظ (والملاحظة هي نقطة البداية في علم النفس) أن مجموعة كبيرة من كتب علم النفس في المكتبة العربية والموسومة بـ "مقدمات" أو "مبادئ" أو "مدخل" وحتى "مناهج" و "أصول" تنحو المناحي نفسها الموجودة في كتب علم النفس الغربي. وتؤكد هذه الكتب على مفاهيم ونظريات ومناهج وأدوات علم النفس اليورو-أمريكي.

ويصعب جدا لمن كتبها تجاوز التصورات الغربية لسلوك وتفكير ودوافع وقيم الإنسان (أبو النيل، ١٩٨٥؛ أحمد، ١٩٩٣؛ حمزة، ١٩٨٢؛ سليمان والمليجي وبديوي، ١٩٩٤؛ عباس، ١٩٩٦؛ عيسوي، ١٩٧٩؛ محمود، ١٩٨٠؛ مراد، ١٩٦٦). وهناك اتفاق عام بين علماء النفس العرب أعلاه على أهمية دور الفلسفة الاغريقية من خلال مساهمة افلاطون وارسطو بخاصة باعتباره مؤسس علم النفس. والاتفاق الثاني بين علماء النفس العرب هو دور عصر النهضة ويمثل ديكارت روح ذلك العصر. والاتفاق الثالث بين علماء النفس العرب هو أن بداية علم النفس الحقيقية هي مع ظهور المنهج التجريبي وبخاصة مساهمة فيبر وفخنر وفونت. إن الرؤية التي كُتبت بها مراحل تطور علم النفس، من وجهة نظر علماء النفس العرب، هي الرؤية نفسها التي كتب بها مؤرخو علم النفس في الغرب، أنظر مثلاً، روكلن (١٩٨٣)؛ وفلوجل (١٩٨٨)؛ و(Thurstone, 1927) Boring (1957)؛ و(Kendler, 1982, lowry)؛ و(Brennan, 1982)؛ و(Hergenhahn, 1986)؛ و(Kendler, 1987).

وبذلك وقع علماء النفس العرب في "خطيئة الحذف" بالنسبة لحلقة التراث العربي الاسلامي وهي الحلقة المفقودة في تاريخ علم النفس بين مرحلة التراث الإغريقي وعصر النهضة. أنفق هنا تماماً مع احرشاوا(١٩٩٤) عندما ذكر بأنه لو تجرأ أحد على كتابة تاريخ علم النفس، فإنه لن ينجو حتماً من تكرار بعض الأفكار التي تقدم بها أمثال بورنج، ميللر، فلوجل، وودوورث، وروكلان بخصوص تاريخ السيكولوجيا الغربية.

يقول بورنج (١٩٥٧) في مقدمة كتابه الشهير "تاريخ علم النفس التجريبي" كانت

هناك خطوات عملاقة وتطورات سريعة وتغيير مفاجيء في ظهور العلم. إن أول طفرة كانت هي الحضارة الإغريقية، أو كما تدعى غالبا بالمعجزة الإغريقية. هذه هي قرون افلاطون وارسطو وارخميدس. وإن ارسطو هو أعظم دماغ قام بتصنيف المعرفة وتطويرها. وإن معجزة الحضارة الإغريقية عن طريق احيائها تمثل في اختراع البارود، وإبطال النظام الإقطاعي، واختراع الطباعة، وسقوط القسطنطينية، واكتشاف البارود وظهور نظرية كوبرنيكس. ولقد تساعل بورنج: كيف جاء علم النفس التجريبي- أو علم النفس العلمي- للوجود؟ ويجيب: كان هناك أولا عصر النهضة، ومن ثم ظهور العلم مع أسماء كوبرنيكس (١٥٤٣)، وكبلر (١٦٠٩)، وجاليلو (١٦٣٨)، وأخيرا نيوتن (١٦٨٧). وقد أدخل بيكون الاستقراء كمنهج للبحث. وإن الصورة الشاملة للحضارة الإغريقية تم حفظها وتطويرها باستخدام اللغة السهلة والمكتوبة. وإن وفرة الكتب في تلك الفترة إنما يظهر الاهتمام المتغلغل بالمعرفة. وكانت الطفرة الثانية هي عصر النهضة وتحولاتها الكبيرة من الاهتمام باللاهوت إلى الاهتمام بالطبيعة، ومؤخرا ظهور المنهج التجريبي.

هناك سؤالان جوهريان يمكن توجيههما إلى بورنج: هل قادت الإغريقية مباشرة إلى عصر النهضة؟ ومن الذي أرسى دعائم أو معالم المنهج التجريبي؟ يمكن الإجابة عن السؤال الأول بالنفي. هناك فجوة في تاريخ بورنج تتمثل في غياب طفرة مهمة مفقودة وهي طفرة العصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

أظهر لنا العرض السابق بأن هناك فجوة في تاريخ علم النفس ما بين مساهمة الحضارة الإغريقية وعصر النهضة. وتتمثل هذه الفجوة في غياب أو تنحية أو إهمال أو تجاهل أو إنكار مساهمة الحضارة العربية الإسلامية في عصرها الذهبي. واتضح لنا كذلك بأن تاريخ علم النفس حسب رؤية علماء النفس الغربيين وعلماء النفس العرب هو تاريخ الغرب وتاريخ العلم الغربي الذي أرسى قواعد المنهج العلمي. لعلنا نتساءل مع أحرشاو (١٩٩٤) هل أن المشكل الحقيقي المتعلق بعدم كتابة تاريخ علم النفس " يتجلى في عدم أصالة إنتاجنا السيكلوجي؟" وهل كما ذكر زيعور (أنظر، روكن، ١٩٨٣) "أننا لم نقدم نظريات عمومية في علم النفس؟" ولم ننشئ مدرسة متميزة داخل المدارس التي سبقت؟ يبدو أننا نختلف مع كل من أحرشاو وزيعور في الإجابة بالنفي عن الأسئلة

المطروحة أعلاه. ومن الغريب العجيب، كما يعبر راشد (١٩٨٥)، أن ينفي العلم العربي من التراث، وأن يلغي من هذا التراث أكثر أجزائه بقاءً وعالمية. فعلى تعدد المواقف وتناقضها الظاهري، يتفق أصحابها جميعاً على عد العلم ظاهرة غربية، لا وجود لها في التراث العربي. فهذا التراث لم يبق منه في زعمهم إلا التراث الديني بخاصة، والأدبي بعامة.

وسوف نقدم في هذا الجزء من الدراسة أطروحة مفادها ان هناك نتاجاً سيكولوجياً أصيلاً؟ ونظريات عمومية؟ ومدرسة سيكولوجية متميزة سبقت؟ إن الدراسة الحالية هي سلسلة من مشروع سيكولوجي بقراءة جديدة للتراث العربي الإسلامي. وبصورة أدق هي حلقة من اثنتي عشرة حلقة عن علم النفس في التراث العربي الإسلامي. ونقصد بالتراث العربي الإسلامي العلم الذي تطور وكتب باللغة العربية في الفترة بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر الميلادي. وسوف يكون هدفنا في هذه الدراسة ^(١) عرض خلاصة عامة لعلم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي من خلال هذا المشروع السيكولوجي الجديد ^(٢) وهو تحديد بعض ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي ^(٣) ومعرفة بعض الدروس المتعلمة من البحث السيكولوجي في التراث العلمي العربي الإسلامي.

علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي

إن علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي كان علماً غطى معظم أفرع أو جوانب أو موضوعات هذا العلم مثل علم البنية العضوية أو التشريح (ابن النفيس، ابن سينا)، علم منفعة الأعضاء أو علم النفس الفسيولوجي، والتدبير النفسي أو علم النفس الاكلينيكي (ابن سينا)، علم نفس الإبصار وسيكوفيزياء الإبصار (ابن الهيثم)، وعلم النفس الفارق وعلم النفس المرضي (الرازي وابن سينا)، والإرشاد النفسي والصحة النفسية (البلخي)، وعلم نفس الطفل وعلم نفس النمو (ابن الجزار والبلدي)، وعلم نفس الحيوان (الجاحظ)، وعلم نفس البيرزة (كشاجم)، والفروق الفردية والذكاء (ابن الجوزي)، وعلم النفس الرياضي (ابن الهيثم، الكرجي). لقد عالج طه (١٩٩٥) بصورة ممتازة علم النفس العام في التراث العربي الإسلامي من خلال فصول كتابه الموسوم "علم النفس في التراث العربي الإسلامي" والتي قسمها كما تقسم سائر كتب مقدمات ومبادئ علم النفس

العام. فمثلا كان الباب الأول عن تقديم، ومفهوم التراث وخصائص علم النفس في التراث ومصادر سيكولوجيا التراث. والباب الثاني عن "الفلسفة العصبية في كتاب القانون في الطب"، والباب الثاني "النمو العقلي بين ابن طفيل وجان بياجيه"، والباب الرابع "سيكوفيزياء الابصار عند ابن الهيثم"، والباب الخامس "الوظائف الذهنية وآلتها العصبية في التراث الإسلامي"، والباب السادس "أسس وملامح نظرية التعلم في التراث الإسلامي" والباب السابع "الذكاء لدى الامام ابن الجوزي"، والباب الثامن "اضطرابات الذهان وأدويتها النفسية".

لقد اهتم العلماء العرب والمسلمون بالتشريح (حمارنة، ١٩٨٣؛ حناشة، ١٩٨٩؛ طه؛ ١٩٩٠؛ العمري، ١٩٩٠؛ الهوني، ١٩٨٦). وكان ابن النفيس مدركا لطبيعة العلاقة المتكاملة بين التشريح وعلم النفس، إذ كان ينصح بممارسة التشريح لأنه يؤدي إلى فهم وظائف الأعضاء، ومن ثم إلى تشخيص الأمراض وشفاء المرض (لعمري، ١٩٩٠). وتشمل المساهمات التشريحية في التراث العربي الإسلامي مساهمة ابن سينا في كتاب "القانون في الطب" وفي كتاب "الشفاء" وتضمينه لتشريح الدماغ والأعصاب وأمراضه، ومساهمة ابن الهيثم في "كتاب المناظر" وبخاصة في تشريح العين وكيفية الإبصار. ولم يكتف هؤلاء العلماء بالآراء السابقة وبالذات آراء ابقراط وجالينوس، من أباطرة الطب الإغريقي، بل تجاوزوها نقدا وإضافة. ولكن يبدو أن المساهمة الأكثر فعالية في تاريخ العلم عامة هي مساهمة ابن النفيس والتي طور وتجاوز فيها آراء ابن سينا ولقد وصل بهذا الفرع من العلم لدرجة عالية من النضج قاده لتشريح الدماغ والقلب والشرابين الكليلية وتشريح المرئ والمعدة ووصف الأوعية التاجية. أن عبقرية ابن النفيس هي التي قاده لاكتشاف الدورة الدموية الرئوية الصغرى. إذ رجعنا إلى مؤرخي علم النفس غير المنصفين مثلا نجد ان بورنج (١٩٥٧) يتجاهل أو يهمل مساهمة ابن النفيس في التشريح ويؤرخ بان القانون العام يمنع تشريح جثة الانسان في اوربا المسيحية ولم يتم ذلك الا في القرن السادس عشر مع استمرار الرفض من جانب الكنيسة. ويؤرخ بورنج لمساهمة فيساليوس في التشريح في القرن السادس عشر بينما يتجاهل مساهمة ابن سينا وابن الهيثم في القرن الحادي عشر وابن النفيس في القرن الثالث عشر. ويؤرخ بورنج كذلك بأن مساهمة هارفي

في اكتشاف الدورة الدموية عام ١٦٢٨م هي أول ثورة في علم الأحياء في العصر الحديث. ولكن يبدو أن بورنج قد أطلق كلمة ثورة فيما ليس هو بالثورة الأولى في الأحياء. مع العلم إن ثورة ابن النفيس هي الأولى في اكتشاف الدورة الدموية الصغرى وكان ذلك بفارق يقرب من الـ ٤٠٠ عام وهي المسافة الفاصلة بين تاريخين مهمين في تاريخ العلم: تاريخ ابن النفيس وتاريخ هارفي. مع أن كتاب بورنج كتاب "للتاريخ" فقد تجاهل فيه "التاريخ" الخاص بمساهمة العلم العربي والإسلامي والذي أرسى قواعد البحث العلمي للعلوم كافة. إن مساهمة العلماء العرب والمسلمين في مجال التشريح المحكوم بالفسولوجيا وعلاقة ذلك بعلم النفس هي مساهمة رائدة وخلاقة تمثل حلقة مكتملة النضج في تاريخ علم النفس بين حلقة علم النفس في التراث الإغريقي وعصر النهضة (أنظر الخليفة، ١٩٩٩).

إن مشروع ابن سينا في علم منفعة الأعضاء أو علم النفس الفسيولوجي (الحر، ١٩٩١؛ طه، ١٩٩٠، نجاتي، ١٩٨٠) في كتاب القانون والشفاء ورسائله في النفس قد شمل دراسة عدة موضوعات منها الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب والعلاقة المتداخلة بينهم وبين بقية أعضاء الجسم. وإن بعض كتابات ابن سينا عن الجوانب الفسيولوجية لا تختلف في جوهرها كثيرا عن بعض الكتابات المعاصرة في علم النفس الفسيولوجي (أنظر، اسماعيل، ١٩٨٢؛ أغا، ١٩٨١؛ حقي، ١٩٨٦، كامل، ١٩٩١). ولقد حدد ابن سينا مراكز القوى المدركة في الدماغ كما عالج العلاقة الكلية والجزئية بين النفوس. وكانت رؤيته للإحساس وللحواس الخمس تشكل رؤية جديدة انتقد فيها الرؤى السابقة عليه. من ناحية منهجية، فقد ارتكز مشروع ابن سينا على التحليل والتركيب والتصنيف والعلية والإحاطة. ولم يكن المشروع الفسيولوجي نقلا حرفيا عن التراث الإغريقي بل كان استجابة واعية من خلال أخذه من التراث بمقدار كما ترك وتجاوز وانتقد بمقدار. وكذلك كان هذا المشروع معلما بارزا في علم النفس في التراث العربي الإسلامي بخاصة. بالرغم من ذلك تمت تنحية المشروع السينوي من كتابات مؤرخي علم النفس من وجهة النظر الغربية، مع بعض الاستثناءات، والعربية كذلك. نتيجة لشمول ولجدة مشروع ابن سينا، وتقديمه لمعالم جديدة في علم النفس الفسيولوجي، فيجب تثبيت هذه المعالم في مكان وزمان الفجوة

العلمية في تاريخ الفسيولوجيا ما بين مرحلة الحضارة الإغريقية ومرحلة النهضة العلمية، ويمكن القول أن ابن سينا كان يمثل أعلى قمة في علم منفعة الأعضاء لذلك تأثر به العلماء العرب في تنقيحاتهم وشروحاتهم المتعددة وبخاصة لكتاب القانون، كما ترك أثرا بالغا في رؤية بعض علماء عصر النهضة وبذلك يعتبر مشروعه نقطة تحول مركزية في تشكيل تاريخ العلم كافة.

إن مسيرة علم الحيوان أو علم نفس الحيوان (الباشا، ١٩٨٣؛ الدفاع، ١٩٨٦؛ السبع، ١٩٨٩؛ سلامة، ١٩٩٠، عبد الشهيد، ١٩٧٥؛ هارلو، ١٩٨٣) خلال القرن السابع عشر والثامن عشر مسيرة وظفت الكم الهائل من الوثائق والمخطوطات والمعلومات الثمينة التي جمعت بواسطة الرحالة وقبلها بواسطة الاتصالات العلمية والثقافية في وقت الحرب والسلام. وعملت هذه المسيرة على توظيف التراث العلمي العربي الإسلامي في علم الحيوان وتم تطوير هذا التراث ربما بالكيفية نفسها التي طور بها العلماء العرب والمسلمون التراث السابق للحضارة العربية الإسلامية، وبخاصة التراث الإغريقي. إن مساهمة الجاحظ والعلماء من بعده تأليفا وشرحا واختصارا أو ترجمة توضح إن العلم يقوم على التراكم الكمي، إذ تعتمد كل مرحلة على الأخرى. وقد يوجد بين الحين والآخر من يقدم طفرة كبيرة لهذا العلم. ويمكن أن نقف على مساهمة العلماء العرب والمسلمين، من ناحية تاريخية، بأنها معبرة عن روح العلم في عصره، وفي الوقت نفسه كان هؤلاء العلماء متقدمين في أفكارهم على من سبقوهم وحتى بعض من تلوهم، لا سيما في مسألة ذهن الحيوان، السلوك الاجتماعي والتناسلي، علم نفس البيرزة، وتدريب الحيوان ومقابلة سلوك الحيوان والإنسان. وتكمن أهمية هذه المقابلة بأنها عبرت عن نفسها في فترات لاحقة من تاريخ العلم باسم علم النفس المقارن. فالعلماء العرب ليسوا أعلاما فيما سمي لاحقا بعلم نفس الحيوان أو علم النفس المقارن عند مؤرخي علم النفس من المنظور الغربي. ويا ترى هل المنظور الغربي للعلم هو منظور كل البشرية في بداية دراسة سلوك الحيوان؟ إذا كانت الإجابة بالنفي، فما هو عذر علماء النفس العرب الذين يكتبون أو يشيرون إلى تاريخ علم النفس بأن بداية علم نفس الحيوان وعلم النفس المقارن هي مع بافلوف الروسي وثرنديك الأمريكي ودارين الإنجليزي. فيا ترى هل يمكن أن نعيد النظر في فكرة إعادة تاريخ

دراسة سلوك الحيوان، فإذا وافقنا على ذلك يمكننا أن نسجل اسم الجاحظ والأصمعي والقزويني والبغدادي والدامري والسجستاني والتميمي وأن نقوم باستلهم روح البحث القلقة لهؤلاء العلماء، وبإحياء هذا التراث العلمي تحقيقاً ونشراً للمخطوطات، فلا نهضة لعلم النفس بلا جذور عريقة متأصلة في التراث العربي الإسلامي.

ارتبطت بعض المعارف النفسية المتعلقة بالتدبير أو العلاج النفسي في التراث العربي الإسلامي (رزق الله، ١٩٨٣؛ طه، ١٩٩٣؛ قطاية، ١٩٧٨؛ ١٩٨٣، كمال وسرحان، ١٩٨٩؛ مرجبا، ١٩٨٩؛ الهوني، ١٩٨٦) بكتب الطب مثل "القانون في الطب" و"الشفاء لابن سينا؛ وكتاب "الكافي في الطب" وكتاب "المنصوري" و"كتاب ماليفارق أو الفروق" للرازي؛ و"شرح القانون" و"شرح تشريح القانون" لابن النفيس؛ وكتاب "مصالح الأبدان والأنفس" للبليخي؛ بالإضافة لكتب مهمة أخرى مثل كتاب "كنوز العلم الطبي" لثابت بن قرة، و"الكتاب المالكي" لعلي بن عباس المجوسي، و"كتاب التذكرة" لداؤود الانطاكي، وكتاب "عمل من طب لمن أحب" لابن الخطيب، و"كتاب الأغذية" لابن زهر، وكتاب "المختارات في الطب" للبغدادي، وكتاب "تحفة المودود بأحكام المولود" لابن الجوزية، وكتاب "فردوس الحكمة للطبري، وكتاب" التصريف لمن عجز عن التأليف" للزهراوي. وتضمنت بعض هذه الكتب بعض المعارف النفسية السابقة للعصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية. ولم يكتف العلماء العرب بعملية النقل كما يقول البعض بل قاموا بنقد هذه المعارف وتطويرها وتجاوز الكثير منها وأبدعوا علوماً جديدة تصوروا فيها ما لم يتصوره غيرهم. لقد تم النظر للأمراض (الاضطرابات) النفسية والعقلية بصورة شمولية مهتمين بتشخيصها وتصنيفها وبمعرفة أسبابها وأعراضها وكيفية تدبيرها (علاجها). ومما يحسب للتراث العلاجي تدوين الحالات المرضية كأول محاولة في التاريخ، إحصاءً وتقريراً ويعكس ذلك التجربة العملية الحية في الممارسة التشخيصية والعلاجية. ووضحت عملية التسجيل، المناهج المستخدمة في التعامل مع المرضى مثل الملاحظات السريرية ودراسة الحالة، ودراسة العلاقة بين الجسد والنفس. واستخدم مصطلح التدبير وهو "العلاج" ومن طرق التدبير المستخدمة، العلاج بالعقاقير كالمفرحات، والعلاج النفسي، والإرشاد النفسي، أو حتى ما يطلق عليه

العلاج المعرفي. وكانت أول المصحات النفسية في تاريخ البشرية هي "البيمارستانات" العربية (أنظر، الخليفة، ١٩٩٩ب).

قدم علماء التراث العربي الإسلامي مساهمة كبيرة في بلورة ملامح علم نفس الطفل وعلم نفس النمو (أنظر، رزق الله، ١٩٨٣؛ شحادة، ١٩٨٣؛ قاسم، ١٩٨٠؛ ١٩٨٣؛ مصري، ١٩٩٦). ويتضح ذلك من المؤلفات العلمية المتخصصة عن الطفولة والتي قدمت التعاريف والتفسيرات والمعالجات للقضايا المطروحة. وتعتبر مساهمة ابن الجزار والبلدي، بخاصة، من أكمل وأنضج المساهمات البحثية. لقد أرست كتابات علماء التراث قواعد علم نفس النمو من خلال وصف وتحديد المفاهيم والتصنيف الدقيق لمراحل النمو من الناحية الزمنية ومعالجة جوانب النمو المختلفة كالنمو الحركي والانفعالي والاجتماعي والعقلي. بالإضافة لذلك لقد ساهم هؤلاء العلماء في تحديد الاضطرابات النفسية الخاصة بالأطفال ومعرفة أسبابها وكيفية علاجها. واهتم هؤلاء العلماء بصورة خاصة بموضوع التدبير والصحة النفسية للأطفال. إذا أردنا التحديد، وكانت الدراسات الأولى حول نمو الأجنة في الغرب في القرن الثامن عشر حسب تاريخ روكن (١٩٨٣)، بينما كان أول مؤلف في علم الأجنة في التراث العربي الإسلامي هو "مقالة في الجنين" ليوحنا بن ماسويه. لقد تم اعتبار كتاب شين "مذكرات عن تطور الطفل" من الكتب المهمة عن تطور الفرد في تاريخ علم النفس الغربي على حسب تأريخ فلوجل (١٩٨٨)، بينما عالج ابن البلدي الموضوع نفسه في القرن التاسع الميلادي. وفي الغرب تم اعتبار كتاب أمراض الأطفال المولودين حديثا والرضع "ليبارد" وكتاب أمراض الطفولة "لبارتز" من أوائل الكتابات الغربية عن طب الأطفال على حسب تأريخ تاتون (١٩٨٨)، بينما كان مؤلف الرازي "رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم" أول مؤلف مكتمل عن طب الأطفال في التراث العربي الإسلامي. لقد لاحظ اسبين وبيكو اختفاء الصرع طويلا بشكل وجع بسيط في القرن التاسع عشر بينما قدم ابن الجزار الملاحظة نفسها في القرن التاسع الميلادي بفارق ألف عام. من ناحية تاريخية نلاحظ أن تأسيس علم نفس الطفل في الغرب كان في القرن التاسع عشر وأحرز تقدمه في القرن العشرين. ولكن تاريخ علم النفس في الغرب ليس هو تاريخ كل البشرية. والسؤال لماذا تحاول المركزية الغربية تجاهل مساهمة الحضارات الأخرى في تاريخ العلم

أو إغفالها أو تنحيها أو إنكارها؟ لقد أظهرت الدراسة أن ملامح ومعالم علم نفس الطفل وعلم نفس النمو قد تأسست في التراث العربي الإسلامي في القرن التاسع والعاشر الميلاديين بفارق عشرة قرون وهي المسافة الفاصلة بين تاريخين مهمين في تاريخ علم نفس الطفل. إن رواد هذا العلم لم يكونوا "برايرا" و"وبائرا" و"هافجهيرست" و"بياجيه" و"اركسون" و"هارلوا" و"كولبيرج" إنما هم ابن الجزار وابن ماسويه والقرطبي والرازي والطبري والبغدادى.

إن مساهمة العلماء العرب والمسلمين في الرياضيات مثلا، ابن الياسمين، وأبي كامل، والخيان، والخوارزمي، والزركلي، والطوسي، والعاملي، والكاتبى، والكاشي، والكرجي، والمراكشي، ومساهمة بعض العلماء في تطبيق الرياضيات في علم النفس (أنظر راشد، ١٩٩٧؛ سعيدان، ١٩٩٧؛ طه، ١٩٩٠ ب؛ موالدي، ١٩٩٢) لم تكن مساهمة محلية منقطعة عن نفسها بل عملت هذه المساهمة، والتي يمكن وصفها بالعملاقة، على التأثير في عقول العلماء ممن يدعون في تاريخ العلوم برواد الثورة العملية على حسب تعبير بورنج مؤرخ علم النفس. وبدون تردد، يمكن القول بأن أسئلة ابن سينا عن الأحجام اللامتناهية هي التي أوصلت نيوتن إلى الحساب اللامتناهي، وتأثر الأوروبيون بمساهمة عمر الخيام في الجبر أكثر من تأثرهم بديكارت، وطور الكاشي الحساب العشري بدقة لا تقل عن الاكتشافات بعد فيات، وكانت مساهمة العرضي والطوسي والشيرازي والدمشقي مساهمات كبيرة في الفلك شبيهة بما هو عند كوبرنيكس. ومن ناحية سيكولوجية التعلم، يمكن القول بأن الرياضيات في العلم العربي الإسلامي قدمت مساهمة كبيرة في تسهيل إجراء العمليات الحسابية في العقل أو الذهن، بدلاً عن الإجراء التقليدي في التراب أو التخت. هناك عدة قواعد متبعة في تقديم براهين هذا المنهج منها الإيجاز بشكل عام، سرعة الحساب، عمومية القوانين، اقتصاد الوقت واقتصاد الجهد. واستخدمت عدة طرق للبرهان في العلوم الرياضية منها طريقتا التحليل والتركيب. وأظهرت عدة مخطوطات رياضية في الجبر استخدام منهج التحليل والتركيب في حل المسائل الرياضية أو البرهان على نظرية (موالدي، ١٩٩٢). لقد استخدمت الرياضيات في عدة صور في علم النفس خاصة في (١) تطور وتنقيح الحساب الذهني وتسهيل إجراء العمليات الحسابية (٢) علم

الفلك العربي وتأسيس المنهج التجريبي" الاعتباري" (٣) مساهمة البصريات وعلم الإبصار في صياغة المنهج التجريبي، وبخاصة الاستقراء (٤) تطبيق الرياضيات في قياس الغلط" الخداع" البصري عند ابن الهيثم (٥) تطبيق الرياضيات لقياس الخطأ" الخداع" البصري من قبل ابن سينا. وابن الهيثم هو أول من استخدم الرياضيات في علم النفس لدراسة الزيف البصري أو أغلاط البصر في مجال سيكوفيزياء الإبصار. إذا تتبعنا المقالة الثانية من" كتاب المناظر"، وبخاصة الفصل الثاني" في تقديم ما يجب تقديمه لتبين الكلام في أغلاط البصر" سنجد الاستخدام الموضوعي للرياضيات، نظريا وعمليا. يتعلق الجانب العملي ببناء أدوات تركز على الرياضيات ويمكن أن نطلق على ذلك، بدون تحفظ، أول استخدام للرياضيات في تاريخ " علم النفس التجريبي" (أنظر الخليفة، ١٩٩٩).

يمكن القول إن ابن الهيثم قد أبدع علما جديدا ونظرية جديدة ومنهجاً جديداً في علم الإبصار وسايكوفيزياء الإبصار. وليست هناك أي مساهمات نظرية وتجريبية في هذا المجال ما قبل فترة ابن الهيثم. ويصعب علينا جداً أن نتصور الكيفية التي بنى بها ابن الهيثم معالم علم نفس الإبصار، هذا العلم الذي تصور فيه ابن الهيثم ما لم يتصوره غيره من العلماء السابقين والمعاصرين له. فإذا تتبعنا مؤلفات ابن الهيثم في البصريات وبصورة تجزئية لمقالات" كتاب المناظر" أو حتى لفصول الكتاب يتضح كذلك إن ابن الهيثم قد ابصر" ما لم" يبصره" غيره، وكان " من ذوي الإبصار والبصائر". هل يمكن أن نقابل ما بين فيببر وفخنزر وما بين ابن الهيثم والفارسي وإذا استطعنا ذلك هل يمكن أن نقارن بينهما. إن عمل ابن الهيثم قد آمن به مؤرخو العلم في العالم العربي والمنصفون من العالم الغربي ولكن تجاهله أو أهمله علماء النفس العرب. ولقد أنكره أو أنحاه مؤرخو علم النفس في الغرب. إن عملية الكفر أو التجاهل هي عملية غير مفيدة في تاريخ العلم. لقد تركت مساهمة ابن الهيثم أثراً كبيراً في علماء النهضة الأوروبية" المزعومة" وأثرت تأثيراً كبيراً في وضع أسس المنهج التجريبي ليس في علم نفس الإبصار وإنما في تاريخ العلم. وليس من السهولة تصور العمل في حالة غياب: مناظر" ابن الهيثم. ونقترح أن نعيد النظر في كتابة تاريخ" علم نفس الإبصار" أو " سايكوفيزياء الإبصار" أو حتى المصطلح اللاتيني" السايكواوبتيك". قد تجابه بعض علماء النفس مشكلة في إعادة التفكير في كتابة تاريخ علم

النفس. ومهما يكن فالاقترح هو أن عام ٤٧٦ هجرية وليس عام ١٨٦٠م هو بداية القياس التجريبي في علم النفس، وأن أول ثورة في علم نفس الإبصار في تاريخ علم النفس كافة لم يكن رائدها "فنختر" في "مبادئ السايكوفيزياء" إنما رائدها هو "ابن الهيثم" في "كتاب المناظر".

يمكن القول بثقة كبيرة إن ابن الهيثم هو مؤسس علم نفس الإبصار ومن مؤسسي السايكوفيزياء الحديثة (طه، ١٩٩٠ ب-Khaleefa, in press, 1999, Khaleefa& Ma-naa, 1999). فابن الهيثم عالم وباحث بقدرات متعددة ومتداخلة. تشريحية وفسيولوجية، وفيزيائية، ورياضية، وتقنية، وسيكولوجية وبذلك كانت البصريات عنده مركبة من هذه العلوم. ولو عاش ابن الهيثم سنوات أخرى ربما كتب مقالة إضافية في نهاية "كتاب المناظر" تسمى حرفياً "سيكوفيزياء الإبصار" بلا ريب، وقد قام ابن الهيثم بإبداع مصطلحات جديدة، وصياغة نظريات جديدة، وتطوير مناهج جديدة، وتصميم أدوات جديدة، ومن ثم تأليف كتاب جديد للمناظر. ويؤكد مؤرخو علم النفس في الغرب، بصورة إجماعية، وعلماء النفس العرب كذلك على أهمية مساهمة فيبر، وفنختر، وهلمهولتز، في تطور سايكوفيزياء الإبصار وتبعاً لذلك تطور علم النفس التجريبي. ولكن يمكن أن نعيد النظر في كتابة هذا التاريخ، بأن نميز بين مرحلتين من مراحل تطور هذا الفرع من العلم: مرحلة الإبداع ومرحلة الاكتشاف، مرحلة القرن الحادي عشر ومرحلة القرن التاسع عشر. وبوسعنا القول لقد كان ابن الهيثم مبدعاً لسايكوفيزياء الإبصار بينما كان فيبر، وفنختر، وهلمهولتز مكتشفين لها. ومهما يكن، فهناك أهمية لكل من المبدع ولكل من المكتشف في تاريخ علم النفس. ويمكن القول بأن ابن الهيثم بكتاب المناظر العملاق يقف في قاعدة صلبة لمناظر شاهقة تكشف أنوارها المتلاطئة مع فونت الموسوعي في معمله الشهير بلايبزج العريقة بتاريخها التجريبي العلمي في علم النفس. ولعل النتائج السابقة التي توصلنا إليها تقودنا إلى أطروحة الدراسة الأساسية وهي أن ابن الهيثم هو القاعدة الأساسية لأول تأسيس لعلم النفس التجريبي، ولعلم نفس مرتبط بالفيزياء، ولعلم نفس الإبصار، وللسايكوفيزياء في تاريخ علم النفس كافة. ومن المناسب أن نرجع في نهاية هذه الدراسة إلى مقدمتها لكي نعيد النظر في تساؤل نورنج: كيف جاء علم النفس التجريبي أو العلمي

للوجود؟ أولا كان هناك عصر ابن الهيثم في القرن الحادي عشر، وثانيا عصر النهضة في القرن الخامس عشر، وثالثا عصر العلم التجريبي في القرن السابع عشر، ورابعا عصر علماء السيكوفيزياء في القرن التاسع عشر. وبذلك تكون محاولة بورنج لتسليق قمة إفرست في مسح تاريخ علم النفس التجريبي هي محاولة تسليق ناقصة أو مبتورة لأنها لم تبدأ من قاعدة الجبل.

لكن بالرغم من الاهتمام الكبير الذي أولاه العلماء العرب والمسلمون الأوائل لدراسة علم منفعة الأعضاء أو الفسيولوجيا، وعلم البنية العضوية أو التشريح، وطرق التشخيص والتدبير أو العلاج النفسي واعتماد منهج التسجيل وبناء البيرومارستانات أو المؤسسات العلاجية، وعلم نفس الحيوان، وعلم نفس الطفل، وعلم نفس الإبصار وتطبيق الرياضيات في علم النفس لم يترك ذلك الاهتمام أثارا واضحة في اهتمامات العلماء اللاحقين في هذا المجال. يبدو أن انفصالا مبكرا قد وقع في تاريخ علم النفس في التراث العربي الإسلامي، انفصالا ما بين دراسة علم النفس الميتافيزيقي كأساس لعلم النفس وبين علم النفس في الفسيولوجيا والتشريح والطب والفيزياء والرياضيات وعلم الحيوان والذي يمكن أن نطلق عليه "التجريبي". وقد تكون هذه المعالم من خلال الاكتشافات والإبداعات التي قدمها هؤلاء هي المعالم التي أرست قواعد البحث العلمي للاكتشافات اللاحقة في عصر النهضة الأوروبية والتطورات في القرن التاسع عشر. إن الانفصال الواعي أو غير الواعي بين علم النفس الميتافيزيقي وعلم النفس التجريبي قد ترك خليجا كبيرا بين الجانبين. ففي الكتابات المعاصرة لعلماء النفس العرب، عن التراث العربي الإسلامي، يغلب الجانب الميتافيزيقي لعلم النفس وقد يغيب تماما في كثير من الأحيان علم النفس التجريبي. وقد يصعب علينا إيجاد إجابة واضحة لتتحية علم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي من خلال الكتابات التي تؤرخ لعلم النفس. إن تحية علم النفس التجريبي ربما تكون قد تركت أثارا المستقبلية أو اللاحقة في تطور علم النفس في العالم العربي. نقصد بذلك إن أقسام علم النفس في الجامعات العربية كانت تتبع لأقسام الفلسفة في كليات الآداب أو تتبع لكليات التربية ولم تكن أقساماً تتبع لكليات الأحياء، والطب، والهندسة أبداً،

أو يدرس علم النفس في معامل الفسيولوجيا والتشريح والزولوجيا أو مخابر الفيزياء. فيا ترى ما هي الملامح العامة لعلم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي؟

ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي

أولاً: إن أحد ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي أنه كان علماً نظرياً. وبكلمات أخرى هو وصوله لمرتبة النظرية العلمية السيكولوجية وبخاصة في النظرية الهيثمية (علم نفس الإبصار) والنظرية السينوية (الإدراك الحسي). وتقوم هاتان النظريتان على تحديد دقيق للمشكلة، والافتراض، والتعريف، والبناء المنهجي، والبرهان والاستنتاج. وهاتان النظريتان في مجال علم النفس قد بذرتا المنهج الحديث في علم النفس. وتطرق عدد من الباحثين لهاتين النظريتين. لقد أدرك ابن الهيثم في مرحلة مبكرة من التاريخ المعنى الحديث الذي نعنيه بالنظرية العلمية، وأنه أدرك أن النظرية العلمية في جوهرها إن هي إلا شرح أو تفسير تتبين به العلاقة بين الظواهر الطبيعية على ما هي عليه في الواقع المحدود" (نظيف، ١٩٤٢: ٤٢-٤٣). وتبعاً لذلك جاء ابن الهيثم بنظرية جديدة في الإبصار غير ما جاء به السابقون عليه من الرياضيين (مثل إقليدس وبطليموس)، أو الفلاسفة (مثل أرسطو) أو الأطباء مثل (جالينوس). وعرض ابن الهيثم هذه النظرية مجملة في المقالة الأولى من كتابه (صبرة، ١٩٨٣). فمن الإسهامات العلمية الأخرى التي تطرق لها الباحثون في هذا المجال: نظرية ابن الهيثم في سيكولوجيا الإبصار (صبره، ١٩٨٣)، وتمييز صيغ الإدراك الأربع والاستقراء عند ابن الهيثم (عمر، ١٩٨١)، وسيكوفيزياء الإبصار عند ابن الهيثم (طه، ١٩٩٠ ب)، وتأسيس علم النفس التجريبي عند ابن الهيثم (Khaleefa, in press)، وعلم النفس الهيثمي للإبصار: ألف عام من التأثير (Khaleefa, 1999)، ومقياس ابن الهيثم للغلط البصري ودوره الرائد في تاريخ علم النفس التجريبي، والحسن ابن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية (نظيف، ١٩٤٢)، وعلم الضوء عند ابن الهيثم (جلخي، ١٩٩٤)، وابن الهيثم أول بيوفيزيائي (Russell, 1979)، واكتشافات ابن الهيثم المنسية في الظاهرة البصرية (Howard, 1996).

ويمكننا أن نطلق على مساهمة ابن سينا في علم النفس بأنها مساهمة تستحق أن نطلق عليها " النظرية السينية" أو " علم النفس السيني". يقول نجاتي (١٩٨٠) إن محاولة وضع تاريخ لعلم النفس، أو لنظرية من نظريات هذا العلم في الثقافة الإسلامية أمر دقيق وصعب يقتضي معرفة كثير من الأصول والمصادر التي كان لها في تكوين هذا العلم أثر مهم. وتطرق عدد من الباحثين لمساهمة ابن سينا في علم النفس عامة وفي بناء نظرية سيكولوجية كاملة. أنظر مثلا، الإدراك الحسي عند ابن سينا (نجاتي، ١٩٨٠)، والفلسفة العصبية في كتاب القانون، وسيكو فيزياء البطينات، ونظرية الاتصال العصبي السينية، وتنسب الوظائف الذهنية للمناطق الدماغية (طه، ١٩٩٠)، ومثال حسام على تأثير مباحث علم النفس في العلوم والحضارة الإسلامية: بعض العلاقات ما بين علم النفس عند ابن سينا وفروع أخرى لفكره والتعليم الإسلامية (هول، ١٩٧٩) ومن الكتابات العامة الأخرى عن علم النفس، ابن سينا رائد الطب النفسي (الخالدي، ١٩٨٢)، الأفكار النفسية والتربوية عند ابن سينا (عثمان، ١٩٨٢)، بعض الإيجابيات في تصور علم النفس عند ابن سينا (مرحبا، ١٩٨٩)، ابن سينا (الأهواني، ١٩٥٨)، وجولة في آفاق ابن سينا (تامر، ١٩٨٢)، وابن سينا الطبيب (شحادة، ١٩٨٢)، وعلم النفس السيني (الداية، ١٩٨٢)؛ والمناحي العلمية عند ابن سينا (الدفاع، ١٩٨٧)، ابن سينا (عيتبائي، ١٩٨٢)، وتقسيم ابن سينا للعلوم (مرمورة، ١٩٨٠).

ثانيا: ملامح آخر من ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي إنه كان علما تطبيقيا وليس نظريا فحسب. ارتبط علم النفس بالفسيولوجيا والعلاج النفسي كما عند ابن سينا وبالتشريح كما عند ابن النفيس، وبالبصريات كما عند ابن الهيثم، وبالتشخيص الفارق كما عند الرازي، وبالإرشاد النفسي كما عند البلخي، وبالفروقات الفردية كما عند ابن الجوزي، وبسلوك الحيوان كما عند الجاحظ، وبالبيزرة كما عند كشاجم، وبالطفل كما عند ابن الجزار. وأكثر من ذلك كان علم النفس جزءا من الفيزياء الوسيطة والتي اعتبرت ملكة العلوم مؤخرا، وأكثر تحديدا كان علم النفس جزءا من علم الفلك الذي أبدع فيه العرب والمسلمون (أنظر، راشد ومورون، ١٩٩٧، روش ١٩٩٧؛ كينغ، ١٩٩٧؛ ليندبرغ، ١٩٩٧)، وأكثر وأكثر تحديدا، وكانت تطبيقات علم النفس جزءا من عمل المراقص وكان

مرصد مراغة مثالا رائعا للعلم التجريبي. ولقد تطرقنا للنظرية الهيثمية والنظرية السيئوية في الفقرة أعلاه، ولكن كيف كان علم النفس تطبيقيا كان علم نفس الإبصار، وإن شئنا كانت سيكوفيزياء الإبصار كذلك، علما تطبيقيا في المراسد، وذلك لسلامة القياس أو تحديد الاتجاهات والفصول ومتابعة حركة الكواكب، وبلغه علم النفس الحديث بلا خداع في عملية الإدراك، وبلغه سيئوية بلا أخطاء في عملية الرؤية، وبلغه هيثمية بلا غلط بصري".

ثالثا: كان علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي تعبيراً لروح ذلك العصر وكان مرتبطاً بالبعد العالمي ولكنه كان انعكاساً للواقع المحلي. فتطوير واستخدام مقياس ابن الهيثم للغلط البصري مثلاً، كان لتحديد مواقيت الفرائض، ولقياس اتجاه القبلة وهو بعد محلي يخص المسلمين ومع ذلك كانت النتائج المتوصل إليها ذات تطبيقات عالمية. وفي التدبير النفسي هناك ما يعرف بمرض العشق ويعرف بأنه التعلق الشديد بشخص ما، حتى السقوط في المرض، أي أن المريض يفقد شهية الطعام، فيهزل جسمه، ويصفر لونه، ويتسارع نبضه، وترتفع حرارته؛ كما أنه يصاب بالأرق والنزق والحزن حتى قد يسقط في الكآبة أو السوداء فينتحر، أو أنه يموت باختلاطات الهزال أو مرض ثانوي عارض. ولقد جاء وصفه في كثير من الكتب الطبية العربية. ولعله كان متواتراً في تلك الأيام بسبب الكبت الجنسي، وكثرة الممنوعات (أنظر قطاية؛ ١٩٨٣). ومرض العشق يبدو أنه يختص بالمجتمع العربي المحلي ولكن الدراسات التي أجراها المهتمون بعلم النفس في التراث العربي الإسلامي كانت ذات أبعاد عالمية نظرية وتطبيقية. إن هذه العلاقة بين ما هو محلي وعالمي هي التي تدفع العلم نحو التواتر المبدع والخلاق. يقول راشد (١٩٨٥) كان العلم العربي منذ البداية جزءاً من الممارسة الاجتماعية اليومية في مختلف مستويات المجتمع الإسلامي. ولعل هذه الخلاصة هي أحد أسباب نمو هذا العلم وارتقائه. فالنشاط العلمي لم يظهر فقط في دار الخلافة، وبلاط الأمراء، ولم ينحصر في بيوت الحكمة، والمراسد والمستشفيات والمدارس، بل نجده أيضاً في الديوان وفي المسجد. فهو في الديوان حساب وجبر وهو في المسجد فلك وتوقيت وعلم فرائض. لم يتعارض البعد العالمي للممارسة

العلمية مع متطلبات اجتماعية محلية بطبيعتها، بل كان خلاف ذلك حقاً، إذ صارت هذه المتطلبات المحلية دافعا قويا للارتقاء العلمي.

رابعا: ملمح آخر من ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي إنه كان علما تصنيفيا. فمثلا، كان العرب أول من أدخل تصنيف الأمراض النفسانية على يد الطبيب نجيب أبو حميد الذي قسم هذه الأمراض إلى عشر مجموعات شملت حوالي ثلاثين مرضا. ويعتبر هذا التصنيف أول تصنيف فعلي للأمراض احتوى على وصف دقيق للمرض وعلاجه، ويثير الوصف الوارد في هذا الكتاب الدهشة لدقته وإلمامه بكثير من التفاصيل التي تعتبر الآن حديثة (كمال وسرحان، ١٩٨٩). ولقد نظر علماء التراث العربي الإسلامي للإضطرابات النفسية بصورة شمولية من حيث تحديد المفاهيم، وإجراء التصنيف. ويمكن أن نتتبع ذلك من خلال مرض الدوار. فمثلاً عرف ابن سينا الدوار وحدد أشكاله السريرية، كما صنّفه حسب الأسباب ووضح علاجه (دبسي وتسيغانوف، ١٩٨٩).

ويصنف الدوار ضمن الآفات العصبية الدماغية التي تؤثر في الحركات الإدارية تأثيرا شديدا. وضع ابن سينا تصنيفا اكلينيكا للدوار حسب الأسباب. منها الدوار الحادث من دوران الإنسان حول نفسه. والدوار الحادث من النظر الى الأجسام الدائرة أو المستضيئة أو المرتفعة. والدوار المرضي المنشأ الذي يشاهد في كسور الجمجمة. والدوار الذي يحدث بوزم في الدماغ فيترافق بالصداع والطنين وحس الثقل في الرأس واضطراب الرؤية والذوق والشم والميل إلى النوم. والدوار الذي يحدث باضطرابات هضمية و يترافق بالقمة (نقص الشهية) وخفقان القلب والتعب والغثيان والصداع في مقدم الرأس ووسطه الذي قد يمتد إلى القفا. والدوار الجنسي الذي يسبقه احتباس الطمث أو المنى أوورم في الأعضاء التناسلية. والدوار البولي بالمثانة. والدوار الشامل الذي يسببه اضطراب كافة أعضاء البدن، وكذلك الدوار الكبدي المنشأ أو الدوار القلبي. والدوار خلف الأذنين وكذلك الدوار القفوي و يترافق بخفقان وامتلاء عروق العنق ولا يشكو فيه المريض من ألم. ودوار سوء المزاج و يتجلى بخفة في الرأس، وعدم وجود الأسباب الأخرى.

خامساً: ملمح آخر من ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي اتصافه بالإبداع والابتكار والأصالة. ولم يكن أبدا ترجمة أو شرحاً للتراث السيكلوجي في الحضارة الإغريقية. إذ تتبعا مصادر ابن الهيثم وابن الجزار وابن الجوزي وبعض مصادر ابن سينا والرازي والجاحظ وابن النفيس لا يمكن إرجاء آرائهم الجديدة والمتطورة لواحد من المصادر السابقة فهم قد انتقدوا المؤلفات السابقة وبخاصة الإغريقية فمثلا كتب ابن الهيثم الشكوك على بطليموس كما كتب الرازي الشكوك على جالينوس. صحيح جدا لقد أقتبس العلماء العرب والمسلمون من الحضارات السابقة، ولكنهم صاغوا ما التهموه وطوروه بكيفية جديدة ومبدعة. ولقد عمل العلماء العرب والمسلمون على هضم واستيعاب المصادر المختلفة ووضع فرضيات ونظريات جديدة في السيكوفيزياء والسيكوفسيولوجيا والإدراك الحسي والتشريح. إن مساهمة ابن الهيثم وابن سينا بخاصة يمكن اعتبارها الثورة النفسية الأولى في تاريخ علم النفس وذلك لان هؤلاء قد قدموا مشاريع علمية جديدة لا ترتبط بما هو نقلي أو إتباعي وهذه النوعية الجديدة من التفكير العلمي تدل على أن هؤلاء العمالقة قد أدركوا بعض الحقائق السيكلوجية قبل أي أفراد أو جماعات أخرى في التاريخ. ويمكن التساؤل مجددا لماذا كانت نظريات ومناهج هؤلاء في علم النفس تمتاز بالكلية والنضج في تلك المرحلة من التاريخ؟

سادساً: ملمح آخر من ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي انه كان علما مرتبطا بإعلام إسهاماتهم العلمية متعددة في علوم أو مجالات متعددة. لقد تبلورت ملامح ومعاليم علم النفس من غير علماء متخصصين في علم النفس، وبلغة أخرى، هناك علم نفس بلا علماء نفس. فابن الهيثم لم يكن عالم نفس ولكن كان فيزيائياً كتب كتاب المناظر وفيه مقالتان رئيستان كاملتان عن علم النفس. وابن سينا لم يكن عالم نفس ولكن كان فيلسوفا وطبيباً وكتب "القانون"، و"النجاة" و"الشفاء" و"أحوال النفس"، و"معرفة النفس الناطقة وأحوالها"، و"رسالة عن القوى النفسانية". والرازي لم يكن عالم نفس ولكن كان طبيباً وفيلسوفا كتب "الهاوي" و"المنصوري" و"ما الفارق أو الفروق أو كلام في الفرق بين الأمراض". وابن الجزار لم يكن عالم نفس إنما كان طبيباً كتب "زاد المسافر وقوت الحاضر"، والجاحظ لم يكن عالم نفس إنما كان عالم حيوان كتب كتاب "الحيوان".

بالرغم من أن هؤلاء لم يكونوا علماء نفس لكنهم ساهموا على بلورة ملامح علم النفس في التراث العربي الإسلامي.

سابعاً: ملمح آخر من ملامح علم النفس في التراث العربي الإسلامي انه كان حركة علمية لم تنحصر في جهة جغرافية واحدة من العالم العربي الإسلامي بل غطت هذه الحركة مدناً وأقاليم ومناطق مختلفة. كان إسهم ابن سينا في بلاد فارس، وإسهم ابن الهيثم في بغداد ومصر، وإسهم ابن النفيس في دمشق، وإسهم ابن الجزار في القيروان وإسهم ابن رشد في الأندلس وإسهم الرازي والبلخي والجاحظ وابن الجوزي في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي. يقول الطناحي (١٩٩٦) إن الحركة العلمية القائمة على الإملاء والاستملاء والتسجيل، لم ينفرد بها بلد عربي أو إسلامي دون بلد، ولم يختص بها زمن دون زمن، بل قام الكل في وقت واحد، وكأنهم جميعاً على موعد واحد، لا يحل تأخيرها، لأداء واجب واحد، لا يقوم أحد منهم مقام أحد فيه. فالذي حدث في مكة والمدينة والبصرة والكوفة وبغداد، من مجالس العلم والاستملاء، حدث مثله في الوقت نفسه في دمشق وحلب والقاهرة وقرطبة وغرناطة واشبيلية والمغرب الأقصى كله وبلاد فارس، واصغر بلد طالته يد العربية.

ثامناً: ملمح آخر من ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي، إنه من ناحية زمانية، وصل قمته عند ابن الهيثم وابن سينا وهما معاصران لبعض في القرن الحادي عشر الميلادي وهي فترة وجيزة من بداية شروق وازدهار الحضارة في الفترة الأموية والعباسية. وإذا قارنا بين بذرة علم النفس الإغريقي وتطور علم النفس الأوروبي أو بين علم النفس في عصر النهضة وعلم النفس التجريبي في القرن التاسع عشر فإن الفارق قرون طوال. فالسؤال الذي يطرح نفسه كيف تطور علم النفس بهذه الكيفية السريعة في التراث العربي الإسلامي؟ والسؤال الأهم لماذا لم تستمر بذرة هذا العلم نمواً وتطوراً؟ يقول قاسم (١٩٩٥: ١٤) لقد اكتشف الغرب في أثناء المواجهات مع العالم الإسلامي أن حضارة المسلمين تطورت وتوسعت في مدى قرن واحد من الزمانية بطريقة لم تحدث من قبل ولا من بعد في تاريخ العلم القديم والحديث بما في ذلك الحضارة الغربية الراهنة التي

لم تكتسب سمة الشمول والعالمية إلا بعد ستة قرون من بداية نهضتنا في القرن الحادي عشر الميلادي.

تاسعا: ملمح آخر من ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي ارتباطه بأسرة بقية العلوم المجاورة. فقد استفاد ابن سينا من الفسيولوجيا والتشريح التي ربطها بالأبعاد السيكولوجية مما بلور معالم علم النفس الفسيولوجي، وأستفاد الرازي من الطب والتشخيص مما ساعد على بناء ملامح التشخيص الفارق وتحديد بعض موضوعات علم نفس الشواذ، واستفاد ابن الهيثم من الفيزياء في البصريات ومن البصريات في بلورة معالم علم نفس الإبصار وسيكوفيزياء الإبصار، ووظف الجاحظ علم الحيوان الذي ساعد على ظهور ملامح لعلم نفس الحيوان وعلم النفس المقارن، ووظف ابن الجزار الطب في وضع ملامح لموضوعات علم نفس الطفل، ووظف ابن الجوزي منهج السيرة الذاتية في بناء علم النفس الفارق ودراسة الموهوبين من خلال الأذكياء. إن محاولة تطبيق علم على علم النفس ارتبط بروح ذلك العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية وساعد ذلك على تحديد لبعض ملامح علم النفس التجريبي ولعلها المساهمة الأولى في تاريخ العلم. إن بنية العلاقات في الدراسات البينية هي بنية معززة للتأصيل العلمي وتطوره. إن ارتباط علم بأسرة بقية العلوم المجاورة في تاريخ العلم العربي الإسلامي يبدو أكثر وضوحا في بعض العلوم الأخرى. لقد لاحظ راشد (١٩٨٥) أن ما يميز العلم العربي عما سبقه من علوم الحضارات القديمة، وما يجعل منه بداية حقه للعلم الكلاسيكي، هو محاولة تطبيق علم على علم آخر، مما سيؤدي إلى إنشاء علوم جديدة، إلى جانب ازدهار العلوم الموروثة. إن هذه المحاولات لم تأخذ هذا البعد، ولم تمارس حق الممارسة قبل الفترة العربية، ومنها تطبيق الهندسة على الجبر، مما أدى إلى ظهور الفصل المعروف عن "العمل الهندسي لجذور المعادلات" وتطبيق الجبر على الهندسة وهذا ما عمل على ظهور بدايات الهندسة التحليلية، وتطبيق الجبر على الحساب، وكان لذلك أثر في تجديد نظرية الأعداد، وظهور أولى الدراسات عن المتغيرات العددية الأولية، وتطبيق الهندسة على الفيزياء في مجال البصريات، وأعقب ذلك نشوء المناظر كعلم فيزيائي وظهور المنهج التجريبي لأول مرة في التاريخ طريقاً للبرهان.

عاشراً: ملمح آخر من ملامح علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي إنه كان علماً يرتكز على الملاحظة وعلى المنهج التجريبي. إن الأصل في نشوء العلم هو هذه الفكرة البسيطة التي تقول أن الكافل لصحة معلوماتنا ومعارفنا عن الواقع لا يمكن أن يوجد في هذه المعلومات والمعارف قديمة كانت أم حديثة، إنما في التجربة. فالتجربة هي معيار صحة المعارف التي لدينا، ولا يمكن أن يكون هناك معيار آخر يفوقها أو يحل محلها (غليون، ١٩٩٠). لقد تتبع بعض الباحثين للحقيقة التالية وهي أن العلم ليس بمجموعة من النتائج والمحصلات، ولكنه قبل كل شيء روح ومنهج، وهو مجموعة من المعايير والقيم والالتزام والإلزام بها، وطريقة في التعامل والتفاعل مع الظاهرة التي يراد نشرها (راشد، ١٩٨٥). فإما ترى ما هو المنهج التجريبي الذي استخدمه علماء التراث العربي الإسلامي في العلم عامة وعلم النفس بخاصة؟ تعتبر الملاحظة العلمية والتجربة هما نقطتا البداية في علم النفس. لقد استخدم ابن سينا هذه الملاحظة العلمية من خلال ملاحظته لمرضاه كما قام بتجريب بعض الأدوية على الحيوان. واعتمد الرازي في ممارسته السريرية على الملاحظة العلمية والتجربة. كما استخدمت الملاحظة عند الجاحظ في دراسته لسلوك الحيوان كما قام بإجراء تجارب التعلم على الكلاب. أما أهم من استخدم الملاحظة والتجربة في تاريخ علم النفس كافة فهو ابن الهيثم في دراسته للسيكوفيزياء وعلم نفس الإبصار والإدراك كما قام ابن الهيثم بأول تجارب سيكولوجية صارمة لدراسة الغلط البصري. أو ما يسمى في علم النفس المعاصري بالخادع البصري عن طريق "الاعتبار" أو المنهج التجريبي.

إن الاعتبار أو التجريب أو القياس الذي طوره ابن الهيثم لا يختلف كثيراً عن طرق البحث العلمي المعاصرة في أمهات الكتب والدراسات (Bentley, 1937; Guilford; 1928) كما لا تختلف أبحاثه البصرية في جوهرها عن بعض الأبحاث المعاصرة (أنظر Gibson, 1950; Gregory, 1963) لذلك هناك مجموعة من علماء النفس القدامى مثلاً (Helmholtz, 1909, Bauer; 1912)، والمعاصرين، مثلاً (Howard, 1996; Rus-) ومن المهتمين بابن الهيثم مثلاً، (Sabra, sell, 1979; Gregory, 1991; Heller, 1988; 1971; 1978, 1989) قد كتبوا بصورة ممتازة عن علم النفس عند ابن الهيثم. ويوسعنا

القول، بأن علم النفس الهيثمي كان أكثر أصالة من علم النفس الإغريقي لأنه كان قائماً على الملاحظة والاعتبار لا على التأمل العقلي والنظرة المسبقة، وكان مهتماً بالفيزياء، لا بالميتافيزيقا. وفي تقديرنا، فإن أي مشروع إحيائي وتجديدي لعلم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي يكون ابن الهيثم، بلا ريب، هو محوره ومركزه الرئيسي.

بعض الدروس المتعلمة من البحث السيكولوجي في التراث العلمي

ظهرت في علم النفس نظريات كثيرة، بعضها قديم، وبعضها حديث، ولكن ليس كل حديث صحيحاً، وليس كل قديم باطلاً. فكثير من النظريات القديمة صحيح لأنه صمد للزمن، وكثير من النظريات الحديثة نقف منه موقف المحايد، لأن الحركة العلمية والزمن سيثبتان مدى قدرته على الصمود أمام ما يكشف من حقائق علمية (القوصي، ١٩٩٤: ٦٥)، وإذا كانت النظريات العلمية لا تتكامل إلا بتعاون العلماء في العصور المتعاقبة كان من الواجب على العلماء اللاحقين أن يعترفوا بفضل العلماء السابقين، ولو رام عالم من تلقاء نفسه أن يستنبط جميع الحقائق التي استنبطها القدماء لما أمكنه ذلك، وكان من الجائز أن لا يهتدي هو نفسه إلى شيء (صليبا، ١٩٧٠: ٥). يذكر طه (١٩٩٠) بأن الإنسان يجد في نفسه إغراءً لقبول تفسير توماس كون لطبيعة التطور العلمي فهو ليس تراكمياً وليس تطوره ذا خطية تصاعدية. فلا يبني اكتشافاً فوق اكتشاف بل هو يبني ليهدم ثم يبني من جديد وهكذا. وإنه في هذا المسار قد يهدم نظرية ثم يفتقدها ويندم على إهدارها. وأنه قد يستغني عن نظرية ثم يندم أنه استغنى على الأقل من بعض أجزائها ولات ساعة مندم. لأن البديل النظري الذي تبناه بعد ذلك لا يحتوي ولا يمكن أن يقبل تلك الأجزاء الصحيحة المستغنى عنها.

إن السمة العامة لبذرة علم النفس في التراث العربي الإسلامي هو قوة هذه البذرة التي تفتحت في فترة وجيزة من الزمن وكانت قوية التفتح من حيث النوع والديناميكية والتأثير. وبينما كان العالم العربي الإسلامي بمثابة مكة بالنسبة للطلاب من الغرب في عصر الترجمة والالتقاء الحضاري في المراكز العلمية أصبح الآن المنطقة الأقل مساهمة من غيرها. وإن بذرة علم النفس التي تفتحت في العصر الذهبي لم يستقر ريعها بالماء

والغذاء والأكسجين ورعايتها في بيئتها. ولذلك ذبلت هذه البذرة ولكن عروقها ما زالت في الأرض. ومن أسباب ذبولها الاتجاهات الجامدة والدوافع الخاملة والأدمغة الخاملة والعقول الكسولة للأفراد والمهتمين بعلم النفس في العصور التالية للعصر الذهبي وعصور التراجع وفي العصر الحالي. كان علم النفس في التراث العربي الإسلامي واعيا لأن العقل كان واعيا ومنتقدا وناقدا وخلاقا وعندما أصبح العقل لاوعيا وكسولا ومقلدا وناقلا أصبح علم النفس لا واعيا ومتراجعا في عصر الانحطاط والثبات والركود. لقد تراجعت سيكوفيزياء الإبصار عند ابن الهيثم، والإدراك الحسي عند ابن سينا، والتشخيص الفارق عند الرازي، والارشاد النفسي عند البلخي، وعلم نفس الطفل عند ابن الجزار، والفروق الفردية عند ابن الجوزي، وسلوك الحيوان عند الجاحظ وتراجعت هذه الجوانب الحية والعلمية والتجريبية إلى الشعوذة والدجل والسحر والتمايم والبخرة والمحاية والخطوة. إن الأسئلة السيكولوجية التي طرحها ابن الهيثم وابن سينا وابن الجزار والرازي والجاحظ والبلخي وكشاجم هي ليست الأسئلة المطروحة الآن في علم النفس. وإن قضايا الأفراد والجماعات في العالم الإسلامي بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر الميلادي هي ليست قضايا الإنسان العربي المعاصر في القرن العشرين وعلى مشارف القرن الواحد والعشرين. إذن فما هي أهمية الاهتمام بالبحث في علم النفس في التراث العلمي العربي الإسلامي أو ما هي الدروس المتعلمة.

هناك عدة جوانب مهمة في البحث في التراث العربي الإسلامي (أنظر راشد، ١٩٨٥) وذلك لإصلاح مناهج تاريخ العلوم وتطويرها، وذلك بفهم جديد لمكان العلم الكلاسيكي وتاريخه، ومن ثم بإعادة تقسيم الفترات التاريخية نفسها، من يونانية، وعصر وسيط، وعلم حديث إلى تقسيم جديد يراعي ما أتى به العلم العربي، ويستغنى عن تلك المفاهيم التي لم تحل شيئا، بل زادت الأمور تعقيدا، مثل مفهوم " النهضة العلمية في القرن السادس عشر". يبدو أنه من المناسب الرجوع لمقدمة هذه الدراسة عندما لاحظنا بأن هناك ثلاث اتفاقات بين علماء النفس العرب (١) أهمية دور الفلسفة الإغريقية من خلال مساهمة افلاطون وارسطو. (٢) دور عصر النهضة ويمثل ديكارت روح ذلك العصر (٣) إن بداية علم النفس الحقيقية هي مع ظهور المنهج التجريبي وبخاصة مساهمة فيبر وفختر

وفونت. إن الرؤية التي كُتبت بها مراحل تطور علم النفس، من وجهة نظر علماء النفس العرب، هي الرؤية نفسها التي كتب بها مؤرخو علم النفس في الغرب. وتحتاج هذه الرؤية لتعديل في ضوء نتائج البحث السيكلوجي في التراث. وتحتاج بصورة خاصة رؤية بورنج (١٩٥٧) التي كتب بها "تاريخ علم النفس التجريبي" لإعادة النظر وذلك بوضع المساهمة العربية الإسلامية في الفجوة الموجودة بين الفلسفة الإغريقية وعصر النهضة. وجانب ثاني لأهمية البحث في التراث هو ما سنتعلمه من التراث عند التفكير في سياسة علمية، ودروس التراث هذه لا تخص المجتمع العربي فحسب، بل هي دروس للإنسانية قاطبة. فمنه سنعرف أولاً إحدى وسائل الارتقاء العلمي هي محاولة الوصول إلى حلول علمية لمسائل تثيرها الممارسة الاجتماعية، من مادية وثقافية. وأولاً أن العلم - حتى العصر الوسيط الذي لم يحتج إلى معامل ضخمة ووسائل كبيرة باهظة التكاليف - ازدهر بتشجيع من السلطة السياسية. فمثلاً، مقياس ابن الهيثم للغلط البصري والذي يعد أول محاولة في تاريخ علم النفس التجريبي هو مقياس مبسط لا يحتاج لأكثر من لوح خشبي طوله كطول ذراع اليد وعرضه عرض أربع أصابع مقتدرة حسب تعبير ابن الهيثم، وحسب لغة القياس المعاصرة يحتاج إلى لوح خشبي طوله (٨٥٠سم).

ويعلمنا التراث العلمي بأن الترجمة العلمية المفيدة الفعالة لا تنفصل عن الإبداع العلمي نفسه، ولن يتحقق هذا إلا بإعادة النظر في مفهوم الترجمة العلمية وسياستها. يظن بعض المستشرقين أن تاريخ العلم العربي تتوزعه ثلاث مراحل: الأولى للترجمة والثانية للاكتساب والثالثة للإبداع. وسادت هذه النظرة عند جمهرة من المختصين على الرغم من سطحياتها وخطئها. فإن حركة الترجمة من فلكية ورياضية على الأخص فإن هذه الترجمة نفسها ارتبطت بالبحث العلمي وبالإبداع. وسيعلمنا التراث بأن تفضيل الجانب التطبيقي على الجانب الأساسي والبحث النظري لن يؤدي إلى إرساء أسس البحث العلمي. فلن يكفي لاكتساب القيم العلمية ممارسة العلماء وحدها، ولكن لا بد من خلق ثقافة علمية وفلسفية وتاريخية مرتبطة بالعلم. وهنا سيكون التراث العلمي كتاريخ يدرس، وكنصوص تعلم، هو إحدى وسائل خلق هذه الثقافة اللازمة لتوطين الظاهرة العلمية في

المجتمع العربي. فلا يمكن أن يصبح العلم ظاهرة وطنية في مجتمع ما زال ينظر إلى العلم على أنه نتاج حضارة أخرى لم يشارك هو في تكوينها (راشد، ١٩٨٥).

وسيعلمنا التراث بأن نمو العلم وتطوره ليس بظاهرة منعزلة عن نمو المعارف الأخرى وتطورها، وبخاصة اللغوية منها. فقبل الترجمة وخلالها لم يتوان اللغويون العرب عن البحث في اللغة، في تراكيبها ومفرداتها، فوصفوا وحلّلوا قواعد الاشتقاق، وأصول التراكيب التي يمكن الأخذ بها، وخلقوا علومًا جديدة (راشد، ١٩٨٥). هناك مشكلات كبيرة في الترجمة الحالية في علم النفس وذلك نتيجة لتجدد المعارف السيكولوجية وقصور المتابعات العربية في اللاحق بها. يقول أبو ديب نحتاج لعملية بحث عن صيغ وتوليد مفردات وتجراً على حدود اللغة ومقيداتها (ص ٣٣٠). ولم يتم التفجير اللغوي لعملية التغيير والتطور الثقافية - الحضارية إلا بالمغامرة الرائدة، بالجرأة لا على نقل الفكر من العالم وحسب بل على اللغة أيضاً، على بناها العميقة والسطحية، وعلى مكوناتها الصوتية، والمورفولوجية والنظمية... جرأة تهدف في النهاية إلى إنجاز جوهري هو توسيع اللغة. وتوسيع اللغة ليس شرطاً يخيف بل إنه شرط أساسي لتطور اللغة في مراحل الصدام الحضاري، شرط حققته العربية في عصر اصطدامها الأول بالحضارة العالمية، واليونانية والفارسية والهندية (ص. ٣٧). فاللغة ليست مقدسة، وهي في ذات الوقت نفسها ليست مصطلحاً، كما شاع في اللغويات منذ عبد القاهر الجرجاني ودسوسير، أو ليست مصطلحاً ثابتاً نهائياً بل هي عملية مستمرة من التوليد الاصطلاحي أو من الاصطلاح التوليدي (أبو ديب، ١٩٩٧). فاللغة المولدة أو الجديدة بلغة حنفي (١٩٨٥) وحدها هي القادرة على مخاطبة الناس وعقد حوار بينهم.

هناك كم هائل من المخطوطات ذات العلاقة بعلم النفس التي تحتاج إلى التحقيق والنشر فضلاً عن كتابات مؤرخي العلم كابن أبي أصيبعة، وابن النديم، وابن جليل. وتكمن أهمية ذلك في تجذير عميق لعلم النفس في التراث العربي الإسلامي. إن تراث الأمة كما يعبر الحفيان (١٩٩٦) أساس نهضتها، تلك هي القاعدة مهما كانت قيمة هذا التراث، فكيف يكون الحال، والتراث هو التراث العربي، غنى وتنوعاً وامتداداً ومساحة جغرافية، وقدرة على التأثير بما يملكه من قيم روحية ودينية. ويقول قاسم (١٩٨٠) في مقدمة

تحقيقه لكتاب "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان" لقد كنا وحتى عهد قريب نجحد ميراثنا العلمي منشغلين بالبضاعة الحاضرة متخرجين من الالتفات إلى مخطوطاتنا العلمية تاركين للغرباء أن ينشغلوا بها ويعيدوا الدراسات عنها ويحققونها وينشرونها في صور شتى بعضها صحيح وأكثرها زائف عبث به الهوى والتعصب وسوء الفهم والإدراك. ونادى المنادون من الغيورين من أبناء هذه الأمة أننا أولى من غيرنا بدراسة تاريخنا العلمي الذي هو مصدر فخرنا في حاضرتنا وماضينا، ومعرفة عباقرتنا ونوابغنا ممن كانوا ولا يزالون ينابيع للعلم والمعرفة مهما تغيرت الأحوال وتباعدت الأعوام. فإن الدرس الأخير والمهم الذي يمكن أن نتعلم من البحث في التراث العلمي العربي الإسلامي وبخاصة تحقيق ونشر المخطوطات السيكلوجية هو إعطاء البحاثة العرب في علم النفس ثقة قوية بالنفس.

المراجع العربية

ابن الجزار القيرواني. كتاب سياسة الصبيان وتدريبهم. تحقيق محمد الحبيب الهيلة (١٩٦٨). تونس: مطبعة المنار.

ابن الجوزي، أبو الفرج (٥١٠-٥٩٧هـ). أخبار الحمقى والمغفلين. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

ابن الجوزي، أبو الفرج (٥١٠-٥٩٧هـ). أخبار الأذكىاء. تحقيق محمد موسى الخولي (١٩٧٠).

ابن سينا، الشيخ الرئيس أبو علي (١٩٨٠-١٠٣٦). القانون في الطب. بيروت: دار صادر.

ابن الهيثم، الحسن (ت ١٠٤٠-١٠٤١) كتاب المناظر، تحقيق ومراجعة عبد الحميد صبره (١٩٨٣). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

أبو ديب، كمال (١٩٩٧). مقدمة المترجم في: الثقافة والإمبريالية. بيروت: دار الآداب.
أبو النيل، محمود (١٩٨٥). علم النفس الاجتماعي: دراسات عربية وعالمية. الجزء الأول. بيروت: دار النهضة العربية.

أحرشوا، الغالي (١٩٩٤). واقع التجربة السيكلوجية في الوطن العربي. بيروت: المركز الثقافي العربي.

أحمد، محمد أبو العلا (١٩٩٣). علم النفس العام. القاهرة: مكتبة عين شمس.

إسماعيل، عزت سيد (١٩٨٢). علم النفس الفسيولوجي. الكويت: وكالة المطبوعات.

أغا، كاظم والي (١٩٨١). علم النفس الفسيولوجي. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

الأهواني، أحمد (١٩٥٨). ابن سينا. القاهرة: دار المعارف.

الباشا، عبد الرحمن (١٩٨٣). الصيد عند العرب. بيروت: مؤسسة الرسالة ودار النقائس.

البلخي، أبو زيد (١٩٨٤) . مصالـح الأبدان والأنفس. فرانكفورت: جامعة فرانكفورت.
البلدي، أحمد بن محمد. كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم
ومداواة الأمراض العارضة لهم. تحقيق محمود الحاج قاسم (١٩٨٠) بغداد: دار
الرشيد.

تاتون، رينيه (١٩٨٨). تاريخ العلوم العام: العلم القديم والوسيط. بيروت: المؤسسة
الجامعية للدراسات والنشر.

تامر، عارف (١٩٨٢). جولة في آفاق ابن سينا (ص. ١١٣-١٢٤). أبحاث المؤتمر
السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب، ١٣-١٤ أيار، ١٩٨١، حلب، جامعة حلب.
الجاحظ، أبي عثمان بن بحر. كتاب الحيوان. تحقيق عبد السلام محمد هارون (١٩٦٩).
القاهرة: مصطفى البابي الحلبي.

جلخي، بـثينة (١٩٩٤). علم الضوء عند ابن الهيثم. رسالة ماجستير غير منشورة،
جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، حلب.

الحر، محمد كامل (١٩٩١). ابن سينا حياته- أثاره وفلسفته. بيروت: دار الكتب
العلمية.

حقي، الفت محمد (١٩٨٦). فسيولوجيا السلوك: علم النفس الفسيولوجي. الاسكندرية:
دار الفكر.

حمارنة، سامي (١٩٨٣). مقدمة كتاب الجماهر في معرفة الجواهر. مجلة تاريخ العلوم
العربية، ٧، ٣- ٣٨ .

حمزة، مختار (١٩٨٢). مبادئ علم النفس. جدة: دار البيان العربي.

حناشة، يوسف حمدان (١٩٨٩). ابن النفيس وأعماله واكتشافه للدورة الدموية
(ص. ١٧٣-١٩٤). أبحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب والمنعقد في
اللاذقية ٢٢-٢٤ نيسان ١٩٨٦، سورية.

- حنفي، حسن (١٩٨٥). موقفنا الحضاري. المستقبل العربي، ٦، ٦١-٩١ .
- الخالدي، صلاح الدين (١٩٨٢). ابن سينا رائد الطب النفسي (ص. ١٤٥-١٥٦) أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب، ١٣-١٤ أيار، ١٩٨١، حلب، سورية.
- الخليفة، عمر (١٩٩٩). الرياضيات وعلم النفس: نظرة للتراث العربي الإسلامي. المجلة المصرية للدراسات النفسية، ٩، ١١٧-١٦١ .
- الخليفة، عمر (قيد النشرأ). ملامح علم نفس الحيوان في التراث العربي الإسلامي. المجلة العربية للعلوم.
- الخليفة، عمر (قيد النشر ب). علم نفس الطفل في التراث العربي الإسلامي، مجلة العلوم الاجتماعية.
- الخليفة، عمر (قيد النشر د). علم النفس السيئوي: قراءة لثلاثة مداخل. مجلة تاريخ العرب والعالم.الخليفة، عمر (قيد النشر ج). مناظر ابن الهيثم: محاولة لإعادة تاريخ السيكوفيزياء. المجلة التربوية.
- الخليفة، عمر (١٩٩٩ أ)، علم النفس الفسيولوجي، والتشريح: قراءة للتراث العربي الإسلامي. ورقة قدمت للنشر.
- الخليفة، عمر (١٩٩٩ ب). الاضطرابات النفسية، والتدبير النفسي، والبيمارستانات: قراءة للتراث العربي الإسلامي. ورقة قدمت للنشر.
- الخليفة، عمر؛ ومانع، حسان (قيد النشر). مقياس ابن الهيثم للغلط البصري: مثال لدوره الرائد في تاريخ علم النفس التجريبي. مجلة العلوم الاجتماعية.
- الخوارزمي، محمد بن موسى. الجبر والمقابلة. تقديم وتعليق علي مصطفى مشرفة ومحمد موسى أحمد (١٩٦٨). القاهرة: دار الكتاب العربي.
- الخيّام، أبو الفتح عمر. رسائل الخيام الجبرية. تحقيق رشدي راشد وأحمد جبار (١٩٨١). حلب: جامعة حلب.

الداية، فايز (١٩٨٢). علم النفس السينيوي وأثره في الأدب العربي (ص. ١٢٥-١٤٤). أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب، ١٣-١٤ أيار ١٩٨١، جامعة حلب، سورية.

دبسي، فيصل؛ وتسيغانوف الكسي (١٩٨٩). الدوار عند ابن سينا (ص ١٩٥-١٩٨). أبحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب، ٢٢-٢٤ نيسان، ١٩٨٦، اللاذقية، سورية.

الدفاع، علي (١٩٨٦). إسهام علماء العرب والمسلمين في علم الحيوان. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الدفاع، علي (١٩٨٧). المناحي العلمية عند ابن سينا. الطائف: مطبوعات نادي الطائف الأدبي.

الرازي، محمد بن زكريا. رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم. ترجمة محمود قاسم (١٩٧٩). بغداد: وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

الرازي، محمد بن زكريا (٢٥١-٣١٣ هجرية). كتاب ما الفارق أو الفروق أو كلام في الفروق بين الأمراض. تقديم وتحقيق ونشر سلمان قطاية (١٩٧٨). حلب: جامعة حلب..

الرازي، محمد بن زكريا (٢٥١-٣١٣ هجرية). الحاوي في الطب. حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

راشد، رشدي (١٩٨٥). تاريخ العلم والعطاء العلمي في الوطن العربي : مجموعة مؤلفين. تهيئة الإنسان العربي للعطاء العلمي (ص. ١٤٧-١٦٤). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان.

راشد، رشدي (١٩٩٧). التحليل التوافيقي، التحليل العددي، التحليل الديوفنطسي نظرية الأعداد. في: رشدي راشد، رشدي، وريجيس مورون (إشراف). موسوعة تاريخ العلوم العربية. الجزء الثاني (ص. ٤٩١-٥٣٨). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

رزق الله، عبد الحميد (١٩٨٣). عبقرية ابن الجزار وريادته في طب الأطفال. أبحاث

- الندوة العلمية لألفية ابن الجزار، ١٢-١٥ أبريل ١٩٨٣، تونس: وزارة الشؤون الثقافية.
- روش، هنري (١٩٩٧). تأثير علم الفلك العربي في الغرب في القرون الوسطى. في: رشدي راشد، وريجيس مورون (إشراف). **موسوعة تاريخ العلوم العربية**. الجزء الأول (ص ٢٣٩-٢٦٦). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- روكن، موريس (١٩٨٣). **تاريخ علم النفس**. نقله إلى العربية على زيعور. بيروت: دار الأندلس.
- الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، الجزء الخامس. بيروت ١٩٧٠ .
- الزهاوي، خلف بن عباس (١٧٧٨). **التصريف لمن عجز عن التأليف**. ج ١ ليرن.
- زيغور، علي (١٩٨٣) مقدمة ترجمته لكتاب موريس روكن (١٩٨٣). **تاريخ علم النفس**. بيروت: دار الأندلس.
- السبع، محمد (١٩٨٩). **لمحات مضيئة عن غرائز الحمام في التراث العربي** (ص ٨٥-٩١)، أبحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب والذي نظمه معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، والمنعقد في اللاذقية ٢٢-٢٤ نيسان ١٩٨٦، سورية.
- سعيدان، أحمد (١٩٩٧). **الأعداد وعلم الحساب**. في: رشدي راشد، وريجيس مورون (إشراف) **موسوعة تاريخ العلوم العربية**. الجزء الثاني (ص ٤٤٣-٤٦٢). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- سلامة، عبد الحميد (١٩٩٠). **الرياضة عند العرب**. تونس: الدار العربية للكتاب.
- سليمان، علي؛ المليجي، حمدي؛ وبديوي، أحمد (١٩٩٤). **مدخل في علم النفس**. القاهرة: مكتبة عين شمس.
- شحادة، عبد الكريم (١٩٨٢). **ابن سينا الطبيب** (ص ١٥٧-١٦١). أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب، ١٣-١٤ أيار، ١٩٨١، حلب، سورية.
- شحادة، كمال (١٩٨٣). **ابن الجزار وصحة الطفل**. أبحاث ودراسات الندوة العلمية

- لألفية ابن الجزار، ١٢-١٥ أبريل، ١٩٨٣، وزارة الشؤون الثقافية، تونس.
- صبره، عبد الحميد (١٩٨٣). مقدمة المحقق. الحسن بن الهيثم. كتاب المناظر (ص ٢١-٥٥). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الطناحي، محمود (١٩٩٦). قضية إنقاذ المخطوطات: ما تحقق وما لم يتحقق. مجلة المخطوطات العربية، ٤٠، ٧٣-١٠٧.
- طه، الزبير (١٩٩٠). الفلسفة العصبية في كتاب القانون في الطب. المجلة العربية للطب النفسي، ١، ١٤٢-١٥٢.
- طه، الزبير (١٩٩٠). سايكوفيزياء الإبصار عند ابن الهيثم. المجلة العربية للطب النفسي، ١، ٢٥٦-٢٧٣.
- طه، الزبير (١٩٩٣). الصحة النفسية لدى أبو زيد البلخي. المجلة العربية للطب النفسي، ٤، ١٢٣-١٤٢.
- طه، الزبير (١٩٩٥). علم النفس في التراث العربي الإسلامي. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر.
- عباس، فيصل (١٩٩٦). موسوعة علماء النفس والتربية. بيروت: دار الفكر.
- عبد الشهيد، صموئيل (١٩٧٥). الروح العلمية عند الجاحظ في كتاب الحيوان. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- عثمان، حسن ملا (١٩٨٢). الأفكار النفسية والتربوية عند ابن سينا (ص ٢٢٥-٢٣٦). أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب والذي نظمه معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، ١٣-١٤ أيار ١٩٨١، حلب، سورية.
- عمر، صالح (١٩٨١). الاستقراء عند ابن الهيثم. مجلة تاريخ العلوم العربية، ٥، ٧٥-٨٩.
- العمرى، عبدالله (١٩٩٠). تاريخ العلم عند العرب. عمان: مجدلاوي.

عيسوي، عبد الرحمن (١٩٧٩). **مناهج البحث في علم النفس**. الإسكندرية: منشأة المعارف.

عيسى، أحمد (١٩٣٩). **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**. دمشق: المطبعة الياسمينية.

عينتابي، محمد فؤاد (١٩٨٢). **ابن سينا: فخر العرب وعبقري الإسلام** (ص. ١٨٦-١٩٧). أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب والذي نظمته معهد التراث العلمي العربي بجامعة غليون، برهان (١٩٩٠). **اغتيال العقل**. الجزائر: موفم صاد.

فلوجل، ج (١٩٨٨). **علم النفس في مائة عام**. نقله إلى العربية لطفي فطيم. بيروت: دار الطليعة.

قاسم، عون (يناير، ١٩٩٥). **الثقافة السودانية: ثقافة عربية إسلامية أفريقية**. مجلة الثقافة السودانية، ٢٧، ٨، - ٢٢.

قاسم، محمود الحاج (١٩٨٠). **مقدمة المحقق. البلدي، أحمد بن محمد. كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم**. بغداد: دار الرشيد.

قاسم، محمود الحاج (١٩٨٣). **تاريخ طب الأطفال عند العرب**. جدة: مطبوعات تهامة. القرطبي، عريب بن سعد. **خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين**. راجعه نور الدين عبد الخالق (١٩٥٦). الجزائر.

قطاية، سلمان (١٩٧٨). **محقق وناشر كتاب ما الفارق أو الفروق أو كلام في الفروق بين الأمراض للرازي**. حلب: جامعة حلب.

قطاية، سلمان (١٩٨٣). **داء العشق: دراسة مقارنة بين ما جاء في زاد المسافر لابن الجزار وبعض الأطباء العرب** (ص. ٢٨٣-٢٩٢). أبحاث ودراسات الندوة العلمية لألفية ابن الجزار، ١٢-١٥ أبريل ١٩٨٣، تونس.

كامل، عبد الوهاب محمد (١٩٩١). **علم النفس الفسيولوجي**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

كمال، علي، وسرحان، وليد (١٩٨٩) **مآثر الحضارة العربية الإسلامية في الطب النفساني**. **المجلة العربية للطب النفسي**، ١، ٥٩-٦٣.

كينغ، دافيد (١٩٩٧). **علم الفلك والمجتمع الإسلامي**. في: رشدي راشد، وريجيس مورون (إشراف). **موسوعة تاريخ العلوم العربية**. الجزء الأول (ص ص . ١٧٣-٢٣٨). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ليندبرغ، دافيد (١٩٩٧)، **الاستقبال الغربي لعلم المناظر العربي**. في: رشدي راشد، وريجيس مورون (إشراف). **موسوعة تاريخ العلوم العربية**. الجزء الثاني (ص ص ٩١١-٩٢٧). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

محمود، ابراهيم وجيه (١٩٨٠). **مدخل علم النفس**. القاهرة: دار المعارف.

مراد، يوسف (١٩٦٦). **مبادئ علم النفس**. القاهرة: دار المعارف.

مرحبا، محمد (١٩٨٩). **بعض الإيجابيات في تصور علم النفس عند ابن سينا** (ص ٢٣٩-٢٥٨). أبحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب، ٢٢-٢٤ نيسان ١٩٨٦، اللاذقية سوريا.

مرمورة، مخايل (١٩٨٠). **تقسيم ابن سينا للعلوم فيالمدخل من الشفاء**. **مجلة تاريخ العلوم العربية**، ٤، ٢٩٩-٣٠١.

مصري، محمود (١٩٩٦). **تدبير الأطفال الجسدي والنفسي في التراث العلمي الطبي العربي**. رسالة ماجستير غير منشورة في تاريخ العلوم الطبية، جامعة حلب، سورية.

موالدي، مصطفى (١٩٩٢). **الحساب الذهني من خلال بعض المخطوطات العربية**. أبحاث الندوة العالمية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، ٣٠-٤ نيسان ١٩٩٢، والمنعقدة بجامعة غرناطة، اسبانيا.

موسى، جلال محمد (١٩٧٢). **منهج البحث العلمي عند العرب**. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

نجاتي، محمد عثمان (١٩٨٠). **الإدراك الحسي عند ابن سينا**. بيروت: دار الشروق.
نظيف، مصطفى (١٩٤٢). **الحسن بن الهيثم: بحوثه وكشوفه البصرية**. القاهرة: جامعة فؤاد الأول.

هارلو، هاري (١٩٨٣). **دراسة سلوك الحيوان**. ترجمة كمال دسوقي. في: **مناهج البحث في علم النفس**، الجزء الأول، ص ٤٤٣-٤٧٨. تأليف ت. أندروز. أشرف على ترجمته يوسف مراد. القاهرة: دار المعارف.

هول، روبرت (١٩٧٩). **مثال حاسم علم النفس في العلوم والحضارة الإسلامية: بعض العلاقات ما بين علم النفس عند ابن سينا وفروع أخرى لفكره والتعاليم الإسلامية**. مجلة **تاريخ العلوم العربية**، ٣، ١٢٠-١٢٣.

الهوني، فرج محمد (١٩٨٦). **تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية**. مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

المراجع الأجنبية

Bartley, S. (1941). **Vision : A study of its basis**. New York: Van Nos-trand.

Bauer, H.(1912). **Die psychologie Alhazens. Beitrage zur Geschichte derPhilosophie des Mittelalters**, 5, 1- 72 .

Bentley, M.(1937). **The nature and uses of experimental psychology**. **American Journal of Psychology**, 50, 452-469.

Boring, E.(1957). **A history of experimental psychology**. New York: Appleton- Century Crofts.

Brennan, J. (1982). **History and systems of psychology**. New Jersey: Prentice- Hall, INC.

Gibson, J. (1950). **The perception of the visual world**. Boston: Houghton.

Gregory, R. (1963). **Eye and brain**. New York: World University Library.

Gregory, R. (1991). Putting illusions in their place. **Perception**, 20, 1-4.

Guilford, S. (1928). The method of paired comparisons as a psychophysical method. **Psychological Review**, 35, 494-506.

Heller, D. (1988). History of eye movements. In G. Luer, U. Lass, J. Shallo- Hoffmann (Eds.). **Eye movement research** (37-54). Toronto: Hogrefe.

Hergenhahn, B. (1986). **An introduction to the history of psychology**. Belmont:Wadsworth: Publishing Company.

Helmholtz, H(1909). **Helmholtz treatise on physiological optics**. Translated from Germany and edited by J. Southall. New York: Denver Publications.

Howard, I. (1996). Alhazen's neglected discoveries of visual phenomena. **Perception**, 25, 1203-1217 .

Kendler, H. (1987). **Historical foundations of modern psychology**. Philadelphia: Temple University Press.

Khaleefa, O. (in press). **Who is the founder of psychophysics and experimental psychology ?** A manuscript submitted for publication.

Khaleefa, O. (1999). **The Haythamic psychology of vision: A millennium of influence**. A manuscript submitted for publication.

Khaleefa, O. , and Manaa, H. (1999). **Ibn al- Haytham illusion: New discoveries in The history of experimental psychology**. Manuscript submitted for publication.

Lowry, R. (1982). **The evolution of psychological theory**, 2 ed. New York: Aldine Publishing Company.

Pearson, K. (1911). **The Grammar of Science**. London: Adam & Charles Black.

Russell (1979), Ibn al- Haytham- the first biophysicist". **Trends in Neurosciences**. 2, 1. 34,

Sabra, A.(1971). The Astronomical origin of Ibn al- haythams concept of experiment. **Actes du Congres International d' Histoire des Sciences, Paris, T. 111 A** (pp. 133-136)

Sabra, A. 1978). Sensation and inference in Alhazen's theory of visual perception. In P. Machamer and R. Turnbull (Eds.) **Studies in perception: interrelations in the history of philosophy and science** (pp.160-161). Columbus: Ohio State University Press.

Sabra, A. (1989a). Forms in Ibn al- Haytham's theory of vision. **Anschrif der Pedaktion: Institut fur Geschichte der Arabisch- Islamischen Wissenschaften** (pp. 130-131).

Frankfurt am Main: Institut fur Geschichte. Thurstone, L.(1927). A law of comparative judgment. **Psychological Review**, 34, 273-286 .